الرسالة الحاتمية

فيما وافق المتنبي في شعره كلام ارسطو في الحكمة

بقلم فؤاد افرام البستاني
استاذ الآداب العربية في كلية القديس يوسف

٢

الحاتمي

الاديب (تابع)

آثاره

من المعروف ان الحاتمي تصانيف عديدة اكثرها في الشعر والادب ، يذكر منها الادباء نحو خمسة عشر بين كتاب ورسالة . فرأينا ان نعدّد ما نعرفه منها عن ابن خلكان[١] ، وياقوت[٢] ، والسيوطي[٣] ، وحاجي خلفا[٤] ، مشيرين الى نوع كل مصنّف :

١ ــ حلية المحاضرة

في صناعة الشعر ، يقع في مجلّدين . ذكره ياقوت ، والسيوطي[٥] ، وابن خلكان ، وزاد : « وفيه ادب كثير » . وذكره حاجي خلفا ، وزاد : « يشتمل على آداب كثيرة »[٦]

---

١) ابن خلكان : ك.م. ١ : ٦٤٦ و٦٤٨ ٢) ياقوت : ك.م. ٦ : ٥٠٢-٥٠٣

٣) السيوطي : ك.م : ٣٥

٤) حاجي خلفا : كشف الظنون عن اسماء الكتب والفنون ، طبعة Flügel ، في اماكن عديدة سنشير اليها .

٥) في السيوطي : حلية المحاضرة ، وهو تصحيف .

٦) حاجي خلفا : ك.م. ٣ : ١١٢ ، عدد ٤٦٣٦ — وقد ورد اسم الكتاب في دائرة المعارف للبستاني : حلية الادب (٦ : ٦٢٨)

٢ ـــ الملباجة

معنى الملباجة الاحمق الضخم القدم الاكول الجامع لكل شر. قال ياقوت: وهو كتاب صنّفه للوزير ابي عبد الله بن سمدان في رجل سَمّاه عنده، وسمّى الرجل الملباجة من غير ان يصرّح باسمه. ومحور الكتاب صفة الشعر، وقد ذكره السيوطي وسمّاه «تقريع الملباجة». ولم يذكره ابن خلكان، ولا حاجي خلفا.

٣ ـــ سرّ الصناعة

في الشعر ايضاً. ذكره ياقوت، والسيوطي، وحاجي خلفا (١

٤ ـــ الحالي والعاطل

في الشعر ايضاً. ذكره ياقوت، والسيوطي، وحاجي خلفا (٢.

٥ ـــ المجاز

في الشعر ايضاً. ذكره ياقوت، والسيوطي.

٦ ـــ الرسالة الناجية

لم يذكرها الا ياقوت.

٧ ـــ مختصر العربية

ذكره ياقوت، والسيوطي.

٨ ـــ عيون الكاتب

لم يذكره الا ياقوت.

٩ ـــ رسالة في الشراب

ذكرها ياقوت، والسيوطي.

١٠ ـــ منتزع الاخبار ومطبوع الاشعار

يدلّ اسمه على انه من نوع المجموعات. ذكره ياقوت، والسيوطي، وحاجي خلفا. الّا انه انى مصحّفاً عند هذا الاخير، فدعاه «منتزع الاخبار ومطبوع الاشعار لابي علي... الحاتمي»(٣

١١ ـــ كتاب البراعة

ذكره ياقوت والسيوطي.

---

١) حاجي خلفا: ك م ٣:٥٩٤، عدد ٧١٣٧ - وفيه ورد اسم الحاتمي مصحّفاً بالحاتمي.

٢) ك.م. ٥:٧٩، عدد ١٠٥٨٤، وورد فيه الحالي والعاطل، وهو تصحيف

٣) حاجي خلفا: ك.م ٩٠:١٦٦، عدد ١٣١٠٨

١٢ ــ كتاب المثل
ذكره ياقوت وقال: « وهي الرسالة الباهرة في خصال ابي الحسن التي. »

١٣ ــ كتاب في اللغة
لم يتمّ. ذكره ياقوت والسيوطي.

١٤ ــ كتاب المعيار والموازنة
وهذا لم يتمّ ايضاً. ولم يذكره الّا ياقوت.

وهناك الرسالتان اللتان اشرنا اليهما في المتنبي. اما الاولى منهما فسمّاها:

١٥ ــ الموضحة
وتعرف بالحاتمية ايضاً. ذكرها ابن خلكان باسم الحاتمية اولاً ثم قال: « وقد سمّاها الموضحة » (١)، وذكرها ياقوت والسيوطي بعنوان: « الموضحة في مساوئ المتنبي ». وزاد السيوطي بعد ان عدّد بعض مصنفاته، كأنه يتكلم عن كتاب آخر: « الرسالة الحاتمية شرح فيها ما دار بينه وبين المتنبي واظهر فيها سرقاته. » ولا يخفى ان هاتين الرسالتين واحدة بدليل ما تقدّم من قول المؤرخين. وكذلك قول حاجي خلفا في ذكر المتنبي: « وبيّن ابو علي محمد بن حسن الحاتمي البغدادي المتوفى سنة ٣٨٨ سرقات شعره (المتنبي) وعيوبه في كتاب سماه الموضحة. » (٢). وقد تقدّم لنا وصف هذه الرسالة في التوطئة، فليراجع (٣). على اننا نشير الآن الى انها لم تُطبع بعد طبعة كاملة.

واما الرسالة الثانية فهي التي يهمّنا امرها في هذا البحث، وهي المعروفة « بالحاتمية » بحصر المعنى.

الحاتمية

سبب تأليفها

من الغريب ان نرى الحاتمي، الذي عرفناه يتميّز غيظاً على المتنبي ويستشيط حسداً له، حتى يدفعه حبّ التشفي به والانتقام منه الى قصده في عقر داره، ومناظرته تلك المناظرة التي وصفناها بانها اقرب الى المهاترة، ثم تبجحه بانه

١) ابن خلكان: ك. م. ١: ٦٤٧
٢) حاجي خلفا: ك. م. ٣: ٣١٣
٣) اطلب مشرق شباط الماضي، ص ١٢٣

اظهر سرقات المتنبي ومعايبه في جلسة واحدة ، من الغريب ان نرى رجلاً هذا رأيه في المتنبي ، ينقلب كل الانقلاب ، حتى يُصبح من الذائدين عن عدوه بالامس ، ومن المنافرين لخصومه في خصمه السابق ، فيقول في مقدمة رسالته : «والذي بعثني على تأليف هذه الالفاظ ... مفاخرة خصومي فيه (المتنبي) لما رأيت من نفور عقولهم عنه وتصغيرهم لقدره ...» فسبحان مغيّر القلوب !

بيد اننا اذا تفحصنا عن الأمر رأينا ان المتنبي اظهر للحاتمي كل مجاملة وكل لين حتى في اشدّ تهجماته ، فكان يداريه ويلاطفه ، على قول الحاتمي . ولا يهمنا سبب هذه المداراة . انما المقصود من تحققها انها غسلت حقد الحاتمي ، وشفت نفسه ، فاكتفى بها للدلالة على تقدّمه ، وعلى انه غلب المتنبي فامكنه الفخر بذلك لدى سيّده المهلّبي ، وسيّد سيده معزّ الدولة . فلم يرَ من حاجة الى استئناف المداوة بعد ، فأخذ يميل شيئاً فشيئاً عن حالته السابقة و «يعرف حق المتنبي ويجمل في وصفه» . وذلك بدليل قوله ، في آخر «الموضحة» ، بعد ان يطيل في وصف انتصاره على المتنبي :

«وكنت قد بلغت شفاء نفسي منه ، وعلمت ان الزيادة على الحدّ الذي انتهيت اليه ضرب من البغي لا اراه في مذهبي ، ورأيت له حقّ القدمة في صناعته . فطأطأت له كتفي ، واستأنفت جميلاً من وصفه . ونهضت فنهض لي مشيّعاً الى البابَ ، حتى ركبت ، واقسمت عليه ان يعود الى مكانه . »[1]

والخلاصة ان الحاتمي اكتفى بان نفذ رغبة المهلّبي ، وغلب المتنبي في نظر سيده هذا ، ونظر معزّ الدولة ، ونظر من حولهما من الشعراء والادباء ، وشفى منه صدورهم» جميعاً . فلم يبقَ من حاجة الى انقاص قيمة الرجل .

ولعلّ الحاتمي مال ، بعد تلك الحادثة ، الى المتنبي ، وقد امن شره ، فغدا يقدّمه ويشيد بذكره . وهو انقلاب قد نراه احياناً في من فُطروا على الاحساس السريع الانفعال ، والشعور المتقلّب بتقلب الاحوال . ولكن مهما يكن من امر فلا يخلو هذا الانقلاب من الغرابة .

---

١) ياقوت : ك . م . ٦ : ٥١٨ .

طبعاتها

لا نعرف للرسالة الحاتمية الّا طبعتين. ظهرت الاولى منهما في مجموعة للقس انطون بولاد ، دعاها « راشد سوريا » وطبعها في بيروت سنة ١٨٦٨ ، وهي ذات ٢١٧ صفحة من القطع المثمن المتوسط. والرسالة تقع في ١٨ صفحة منها، (ص ٢٥—٤٣) ولا عنوان لها ولا خاتمة . بل تبدأ بما يلي :

« قال الامام ابو علي محمد بن الحسن المظفر الكاتب النوي المعروف بالحاتمي لما رأيت ابا الطيب احمد بن الحسين ابن الحسن الشاعر النوي المعروف بالمتنبي قد اتى في شعره على اغراض فلسفية ومعاني منطقية اردت الموافقة بين ما توارد به في شعره مع ارسطو في حكمه لانه ان كان ذلك عن فحص ونظر . . . الخ »

ولا نعرف النسخة التي اخذت عنها.

وفي هذه الطبعة ٧٩ مقابلة تحتوي كل منهـا على فقرة من اقوال ارسطو وبيت من حكم المتنبي.

وقد اطلعنا في فهرس الكتب العربية في المتحف البريطاني[1] على ذكر طبعة للرسالة المذكورة في بيروت ، ذات ١٨ صفحة من القطع المثمن . وهو يرجح زمن طبعها سنة ١٨٦٠، الا انه لا يجزم بذلك بدليل علامة الاستفهام التي يردف بها الرقم المذكور . ونحن لا نعرف هذه الطبعة ، بل اننا نميل الى القول انها هي طبعة القس انطون بولاد نفسها ، اقتطعت من مجموعتـه ، وافردت على حدة بدليل مشابهتها تلك الطبعة في عدد الصفحات وقطعها ، ومحـل طبعها. وبدليـل ان احداً من الادباء ومؤرخي الادب لم يُشر الى هذه الطبعـة . فبروكلمان[2] ، والاب شيخو[3] ، لا يذكران الّا طبعـة القسطنطينية ، وهي

(١ A. G. Ellis, *Catalogue of arabic books in the British Museum. vol. II, London, 1901. col. 182.*

(٢ C. Brockelmann, *Geschichte der arabischen Litteratur, I Band, Weimar, 1898, p. 88.*

(٣ P. L. Cheikho s. j., *Catalogue raisonné des manuscrits de la Bibliothèque Orientale, IV, Philosophie et Ecriture sainte — Beyrouth, 1925. p. 213.*

التي سنتكلم عنها ؛ وجرجي زيدان[1] لا يذكر الا طبعة القس انطون بولاد اليسوعية .

اما الطبعة الثانية فظهرت في مطبعة الجوائب في القسطنطينية ، سنة ١٣٠٢ هـ. (١٨٨٤) ، في مجموعة ادبيـة ذات ٢٩٦ صفحة بقطع مثمن كبير ، دُعيت « التحفة البهية والطرفة الشهية » ، واحتوت على ١٧ رسالة « مُنتخبة تشتمل على ادبيات معجبة ونوادر مطربة » ، وكانت الحاتميـة الحادية عشرة منها ، وقعت في ١٦ صفحة (١٤٤—١٥٩) وعنوانها : الرسالة الحادية عشرة وهي الرسالة الحاتمية للعلامة ابي علي محمد بن الحسن بن المظفر الحاتمي » ، وبدؤها :

« بسم الله الرحمن الرحيم
« وما توفيقي الا بالله

« قال ابو محمد (٢ بن الحسن بن المظفر الحاتمي رحمه الله اما بعد . . . والذى بعثني على تأليف هذه الالفاظ المنطقية والآراء الفلسفية التي اخذها ابو الطيب احمد بن الحسين المتنبي مفاخرة خصومي فيه لما رأيت من قصور عقولهم عنه وتضجرهم لقدره . . . ووجدنا ابا الطيب احمد بن الحسين المتنبي قد اتى في شعره باغراض فلسفية ومعانٍ منطقية فان كان ذلك منه عن فحص ونظر . . . الخ »

وهذه المقدمـة ، الا بعض اختلافات طفيفة ، هي الواردة في مخطوطتي المكتبة الشرقية اللتين سندرسهما . وقد أُخذت الطبعـة المذكورة عن نسخة كتبت سنة ٦٤٤ هـ. (١٢٤٦) بدليل خاتمتها وهي :

« تمت الرسالة والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على نبيه سيدنا محمد وآله الطاهرين ، وسلم تسليماً كثيراً كتبت في شهور سنة اربع واربعين وستمائة (٦٤٤) »

وتحتوي هذه الطبعة على ٩٧ مقابلة ، في كل منها فقرة من حكم ارسطو وبيت للمتنبي ، الا اربع مقابلات منها ورد في كل منها بيتان . وهي بالاجمال اقرب الى مخطوطتي المكتبة الشرقية من الطبعة السابقة التي لا نعلم مصدرها .

---

١) جرجي زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ، الجزء الثاني ، مصر ١٩١٢ ، ص ٢٤٨

٢) ابو محمد : كذا ، والصواب : ابو علي محمد ، كما في العنوان ، وقد سقطت لفظة « علي » في الطبع دون شك .

نسخها الخطية

تعرف للرسالة الحاتمية اربع نسخ خطية ، في العالم العربي . منها واحدة في مكتبة غوطا (المانية) رقمها ٢٢٣٤ ، وواحدة في مكتبة مدينة الجزائر رقمها ٥٦٦ . وقد ذكر الاثنتين بروكلمان في تاريخه[1] . اما مخطوطة دار الكتب الكبرى في مصر فتحتوي على الرسالة الحاتمية الاولى المعروفة « بالموضحة » ، لا على حاتميتنا هذه .

واما المخطوطتان الباقيتان فهما في المكتبة الشرقية ، في كلية القديس يوسف ، وعليهما بنينا طبعتنا . فيحسن بنا ان نقول كلمة في كل منهما .

المخطوطة الاولى

رقم الاولى ٣٤٢ ، وهي من مجموعة الآثار الفلسفية . تظهر في كرّاس جميل ، حسن التجليد ، قويّ الجلد ، محاط ، في دفتيه ، بأطار ذهبي مع نقشة ذهبية في الوسط . يحتوي على ٥٣ ورقة مكتوبة اكثرها على صفحة واحدة . والورق صقيل ، كامد اللون ، يبلغ طول الصفحة منه ٢٠ سنتيمترًا بعرض ١٦ سنتيمترًا . اما القسم المكتوب منها فيبلغ ١٣–١٤ سنتيمترًا بعرض ١٠–١٠½ . والصفحة المكتوبة محاطة باطار مزدوج ملوّن بالاحمر والازرق والاخضر في المقدمة ، وبالاحمر في سائر الرسالة . والخط نسخي واضح جليّ ، على قسط من الجمال ، متوسط الكبر في النثر يبلغ علوّه ٧–٩ ملمترات . اما في الشعر فهو كبير يبلغ علوّه السنتيمترين . وقد أفردت فيه العناوين من مثل : « قال ارسطو » و « قال المتنبي » فذُكرت في وسط السطر بحبر تارة احمر وطورًا اخضر ، بين نقشتين خضراوين مع الحبر الاحمر ، وحمراوين مع الاخضر . اما سائر الكلام فمكتوب بالحبر الاسود . وقد زُينت الصفحة الاولى بتصاوير غريبة من زهور ، ونبات ، وطيور ، مع حيّتين ، وحيوان يُشبه الثعلب وآخر

(١ Brockelmann, *op. cit. I, 88.*

من النوع نفسه. كل ذلك بالوان عديدة من اخضر واحمر واسود وفضي او رصاصي. ولم يُكتب شيء في هذه الصفحة. اما الصفحة الثانية ففيها العنوان محاطاً بالاطارات المذكورة، وبزهور متعددة الالوان، مع طائرين واحد في كل زاوية من اعلى الصفحة. وسنصوّر هذه الصفحة مع صفحة اخرى من الرسالة مثالين من المخطوطة المذكورة.

وفي آخر الورقة ٥٢ تنتهي الرسالة، فيزيد عليها الناسخ في الورقة ٥٣ بعض ابيات لا صلة بينها وبين ما تقدّم، ويذكر اسمه وتاريخ نسخه اياها بقوله:

« قد علّقها بيده أرذَل العبيد ميخائيل ولد [حنا فخر] في ١٥ ذ الحجة ختام سنة ١١٧٤ الف ومائه واربعة وسبعين للهجرة. »

اي ١٨ تموز ١٧٦٠، وقد وضعنا لفظتي « حنا فخر » بين معقفين لانهما تظهران في النسخة كانهما أضيفتا بعد ان حُكّ الكلام الذي كان محلهما.

وقد دخلت هذه المخطوطة في ملك المكتبة الشرقية سنة ١٨٩٧، اشتراها المرحوم الاب لويس شيخو في بيروت ووصفها، مع المخطوطة التالية، في القسم الرابع من وصفه لمخطوطات المكتبة الشرقية.[1]

تحتوي هذه المخطوطة على ٩٩ مقابلة، في كل منها فقرة لارسطو وبيت للمتنبي، الا اثنتين منها اشتملت كل منهما على بيتين.

هذا ما خصّ مظهر المخطوطة. اما قيمتها الداخلية فحسنة بالاجمال لان التصحيف فيها قليل، وضبطها من حيث اللفظ موافق الا في ما ندر. الّا ان في ضبطها النحوي بعض الاضطراب، فالكاتب شكّل فيها كل الكلمات تقريباً فوقع في هفوات عديدة كان من السهل ان يتجنّبها. ومهما يكن من امر فالمخطوطة حسنة يصحّ الاعتماد عليها.

المخطوطة الثانية

اما المخطوطة الثانية فرقمها ٣٤١، وهي ترقى الى اوائل القرن التاسع عشر. وتشتمل فضلاً عن الرسالة الخاتمية على مجموعة حكمية فلسفية هذا ترتيبها:

(١ P. L. Cheikho, *op. cit. IV, p. 213 et 214*

١ – الرسالة المعروفة بالطائية (ص ١–١٢)
٢ – جواب النفس بولس عن سؤال في تقدير الله للعمر والرزق (ص ١٢–١٤)
٣ – رسالة هرمس الحكيم الملك الحكمة في معاتبة النفس ورجوعها الى سبيل الخلاص (ص ١٥–٥٠)
٤ – رسالة افلاطون الحكيم الى فوفيريوس في حقيقة ذي الفم والمم . . . (ص٥١–٥٨)
٥ – يلي ذلك جداول في الاشهر العجرية والمسيحية والساعات والنجوم والابراج وما شاكل (ص٥٩–٦٤)
٦ – وقد زيد ، بعد ان ختم الناسخ الكراس في الصفحة ٦٤ ، وصية آدم لابنه شيث قبل وفاته (ص ٦٤–٦٧)

فيظهر مما تقدّم ان اوراق المخطوطة ٣٤ مكتوبة على الصفحتين . والكرّاس مجلّد بالقماش تجليداً حسناً ، وورقه خشن متين منفصل قليلاً بالرطوبة ، يبلغ طوله ١٩½ سنتيمتراً وعرضه ١٣½ سنتيمتراً ، وطول المكتوب من الصفحة ١٥½ سنتيمتراً بعرض ١٠½ سنتيمترات ، يدخل فيه من ١٩ الى ٢٢ سطراً محاطة باطار بسيط . اما الناسخ فهو ميخائيل بن شاهين طراد كما يتضح من خاتمة الكرّاس (ص ٦٤) ، وهي :

« قد كمل نسخ هذه الكراسه التي تسمى مسغيت (مسغية) الفؤاد يد ناسخها الفقير واخطا العباد عبده ميخائيل شاهين طراد سنة ١٧٢٤ » (١٨٠٩)

وخطّه من نوع النسخي واضح على الغالب ، ولكنه بعيد عن الجمال . وكله بالحرف الاسود .

اما الرسالة الخاتمية فتقع في اول الكراس في ١١ صفحة ونصف الصفحة ، وقد اختُصرت منها افعال «القول» ، في «قال ارسطو» ، و«قال المتنبي» فلم يذكر الا اسم الحكيم والشاعر في اول السطر ، بحرف كبير في الصفحة الاولى ، وبحرف اعتيادي في ما يليها من الصفحات . وقد احتوت على ٩٨ مقابلة في كل منها فقرة لارسطو وبيت للمتنبي ، الا اثنتين ورد في كل منهما بيتان . ومادّتها صحيحة بالاجمال ، الا ان تاءات الاسماء المؤنثة وردت كلها تقريباً مبسوطة . فنرى في العنوان مثلاً : « الرسالت المعروفت بالخاتميت فيما وافق المتنبي في شعره كلام ارسطو في الحكمت »

(لها صلة)